

المنهج القضائي لسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته

سميه بنت الله دته*

انتهي عهد النبوة بوفاة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم سنة عشر من الهجرة ، وقد أكمل الله به الدين و أتم به النعمة على المؤمنين ، وقام رسول الله بتبليغ رسالة ربه خير قيام و أدى الأمانة و بين الحق و نفذ الأحكام ، مؤيداً بالوحي و التسديد من الله العلي الحكيم فكان عهده القدوة الهادية و الأسوة الحسنة لمن أتى بعده من الخلفاء و الحكام المسلمين .

و قام الخلفاء الراشدون من بعده صلى الله عليه وسلم خير قيام ، فجاهدوا في الله حق جهاده و جموا حوزة الدين ، كيف لا وقد تخرجوا في مدرسة النبوة ، و تربوا على يدي الرسول الكريم رضي الله عنهم و أرضاهم فكانوا مثالا يحتذى في تطبيق الإسلام على أنفسهم قبل غيرهم و حملوا الراية و اجتهدوا في الحكم بين الناس و فض المنازعات بما جاء في كتاب الله و سنة رسوله ، و ما لم يجدوا فيه نصا استنبطوا من عمومات النصوص أحكامه ، فأعطوا لكل واقعة حكمها استنادا إلى كتاب الله و سنة نبيه و اجتهدواهم الأمين المسنن بصحبة رسول الله صلى الله عليه و سلم . و قد شهد لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم بالخير و الفضل على من سواهم من المسلمين ، وثبه على موقعهم من المعرفة بالدين ، والاقتران بشرع الله فقال "خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم" (١)

* طالبة الدكتوراة، قسم الدراسات الاسلامية ، جامعة كراتشي

و قال أيضا " عليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين من بعدي
عضوا عليها بالنواجذ" (٢)

و نبه رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى قدر أبي بكر الصديق و عمر
رضي الله عنهما خاصة حيث قال " اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر و عمر
" رضي الله عنهما (٣) و كان لهؤلاء الخلفاء الراشدين من شرف الصحبة، و
فضل التقوى، و كمال الفهم و المعرفة، و صدق العزم في تنفيذ الشريعة السمحاء
واقامة العدل بين الرعية جمعاء، و أخذ أنفسهم و الناس بالحق في الضراء و
السراء و المكروه و المنشأة ما جعل عهدهم أفضل العهود بعد عهد رسول الله
صلى الله عليه و سلم .

منهج أبي بكر في القضاء

كان زمن خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه قصير جدا لم يتجاوز
سنتين و ثلاثة أشهر و بعض الأيام (١٠ — ١٣ هـ) و انشغل بالحروب و
القضاء على الفتنة التي اشتعل نارها المرتدون من بعض القبائل بعد وفاة رسول
الله صلى الله عليه و سلم ممن هم حديثو عهد بلا سلام و لم يفهموا الاسلام
حق الفهم .

و كان عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه امتدادا لزمن النبي صلى الله
عليه و سلم فلم يحدث تغيرا كبيرا في القضاء، و سأذكر أهم ملامح القضاء في
عهده .

١- كان يباشر بنفسه القضاء بين الناس في المدينة و ولاته يباشرونه في
الأمصار، فيقضون بين الناس في خصوماهم، فقد كان الولاة هم القضاة في

أماكن عملهم ، وكان القضاء جزءاً من سلطتهم و اختصاصهم لأن أعباءهم لم تكن بالكثرة التي تحول بينهم و بين القضاء .

ب - فصل القضاء عن الولاية العامة ، حيث ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه القضاء في المدينة، بينما تركها على ما كانت عليه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم تحت الولاية العامة ، كما ذكره محارب بن دثار "فقال لما استخلف أبو بكر قال لعمر و لأبي عبيدة بن الجراح : انه لا بد لي من أعوان فقال له عمر : أنا أكفيك القضاء و قال أبو عبيدة : وأنا أكفيك بيت المال . (٤)

ج - أقر عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعمالهم التي كانوا يقومون بها ، و طلب من كبار الصحابة و فقهاءهم أن يعينوه على ما تولاه و ما تحمله من خدمة الرعية و القيام على مصالحها و شؤونها كما سبق أن عمر قال : أنا أكفيك القضاء و قال أبو عبيدة : وأنا أكفيك بيت المال .

د - أشاع العدل و الانصاف بين الناس مما نتج عنه قلة الخصومات و المنازعات ، وقد أعلن سياسته التي سينتهجها و خطبته التي قال يوم أن بويع بالخلافة (أيها الناس فإني قد وليت عليكم و لست بخصمكم ، فان أحسنت فأعينوني و ان أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة و الضعيف فيكم قوي عندي حتى اريح عليه حقه ان شاء الله و القوي منكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه ان شاء الله ، لا يدع أحدا منكم الجهاد في سبيل الله ، فانه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم الا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله و رسوله ، فاذا عصيت الله و رسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم رحمكم الله) (٥)

و كان أبو بكر يراقب عماله و يعلن للناس أنه سيقبض من الظلمة كما روي عنه أنه جلس بعد قضاء عمرته قريبا من دار الندوة فقال "هل من أحد يشتكي من ظلامه أو يطلب حقا" فما أتاه أحد و أتى الناس على واليهم خيرا (٦)٠

و من اسباب قلة القضايا في عهد أبي بكر ما يتمتع به عامة المسلمين من قوة الإيمان و مراقبة الله و انشغالهم بالحياة الآخرة عن الحياة الدنيا ، حيث ينظرون الى الدنيا على انها طريق الآخرة و ممر الى الآخرة فالدنيا ليست هدف و لا غاية انما الهدف هو رضوان الله كما قال الله تعالى "وانالدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون" (٧)

و كان طريق استباطه للأحكام و القضايا انه يبحث عن الواقعة في كتاب الله ، فان لم يجد طلبها في السنة والا سلك فيها طريق الشورى و المدارس مع كبار الصحابة كما روي انه كان اذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأي و أهل الفقه دعا رجلا من المهاجرين و الأنصار و دعا عمر و عثمان و عليا و عبد الرحمن بن عوف و معاذ بن جبل و أبي بن كعب و زيد بن ثابت ، و كل هؤلاء كان يفتي في خلافة أبي بكر رضي الله عنه (٨)٠

و ايضا روي انه اذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله تعالى فان وجد فيه ما يقضي به قضى به ، وان لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله ، فان وجد فيها ما يقضي به قضى به ، فان أعياه سأل الناس : هل علمتم أن رسول الله قضى فيهما؟ فرمما قام اليه القوم ، فيقولون : قضى فيه بكذا و

كذا فان لم يجد سنة سنها رسول الله جمع رؤساء الناس فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على شئى قضى به .(٩)

و خلاصة القول : ان مصادر القضاء في عهد أبي بكر ثلاثة الا وهي كتاب الله ، وسنة رسول الله ، و الاجماع المعتمد على كتاب الله و السنة و كان رضي الله عنه يكره القول بالرأى و ينفر منه و روى عنه انه قال : أى أرض تقلني و أى سماء نظلني أن فلت في آية من كتاب الله برأى أو بما لأعلم .
(١٠)

فماذج من أقضية أبي بكر رضي الله عنه :

هناك بعض القضايا قام به أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالقضاء بها كما نقل عن ابن ماجدة السهمي قال : قاتلت رجلا فقطعت بعض أذنه فقدم أبو بكر حاجا فرفع شأننا اليه فقال لعمر : أنظر هل بلغ أن يقتص منه ؟ قال : نعم عليّ الحجام .(١١) و قضاؤه في ميراث الجد مع الأخوة معروف انه جعل الجد بمنزلة الأب و قال ان الأخوة لا ترث مع الجد كما لا ترث مع الأب، اذا مات شخص و ترك مالا و ليس له ولد ولا ولد الولد فجميع المال للجد عند عدم الأب و لا يشاركه فيه أخوة المتوفى ولا اخواته بشئى من الميراث(١٢) و كذلك قضاؤه في ميراث الجدة انها بمنزلة الأم و تاخذ السدس نصيب الأم عند عدم الأم .(١٣)

و أخيرا نذكر قضاة من عيّنهم في خلافته و جلهم هم الذين عينهم النبي صلى الله عليه وسلم في حياته و استمروا علو هذا المنصب العظيم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وقد سبق انا ذكرنا انه لم يفصل القضاء عن الولاية العامة خارج المدينة و انما كان الولاة هم الذين يتولون القضاء بين الناس في خصوماتهم و الذين جاء ذكرهم ما يلي:

أ- عتاب بن اسيد ابن أبي العيص بن أمية بن عبد الشمس -
والي مكة المكرمة - و كان قبل ولاة النبي صلى الله عليه و سلم بعد فتحها حين سار إلى حنين و قيل بعد رجوعه من الطائف ، فلما عينه النبي صلى الله عليه وسلم قال أهل مكة : يارسول الله استعملت على أهل الله أعرابيا جافيا فقال "أني رأيت فيما يرى النائم أنه أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقذفها حتى فتح له و دخل و مات في آخر خلافة عمر رضي الله عنه . (١٤)

ب- عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد الرحمن الثقفي أسلم في وفد ثقيف : كان والي الطائف و أقره أبو بكر على ولايتها و كسبان واليا عليها من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استعمله عمر على عمان و البحرين و هو الذي منع ثقيف

عن الردة و مات في خلافة معاوية سنة خمسين و عاش ما يقارب مائة و عشرون سنة . (١٥)

ت- أبو موسى الأشعري المعروف بكنيته و اسمه عبد الله بن قيس بن سليم و كان من سكن الرملة و هاجر الى الحبشة بعد اسلامه و قدم المدينة بعد فتح خيبر و الى زيد و رمع من ارض اليمن من قبل النبي صلى الله عليه و سلم و استعمله عمر رضي الله عنه على البصرة بعد المعيرة فافتتح الأهواز ثم أصفهان ثم استعمله عثمان على الكوفة و كان حسن الصوت بالقرآن و قيل له النبي صلى الله عليه و سلم لقد أوتي مزمارة من مزامير آل داود . و مات سنة ثلاث و خمسين بالكوفة و كان عمره ثلاثا و ستون سنة . (١٦)

ث- معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي ، كان أبيض و ضيء الوجه براق الثنايا أكحل العينين و شهد المشاهد كلها فقال له عمر رضي الله عنه عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ ، لولا معاذ لهلك عمر . و مناقبه كثيرة جدا و قدم من اليمن في خلافة أبي بكر و كانت وفاته بالطاعون في الشام سنة سبع و عشرة و عمره أربع و ثلاثون سنة و الى الجند من ارض اليمن . (١٧)

ج- المهاجر بن أبي أمية بن عبد الله القرشي المخزومي شقيق أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم و كان اسمه الوليد فغيره النبي صلى الله عليه وسلم والى صنعاء من قبل النبي صلى الله عليه وسلم فأقره أبو بكر و كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه واثل بن حجر كتابا خاصا لوائل و بدأه "بسم الله الرحمن الرحيم" من محمد رسول الله الى المهاجر بن أبي أمية ، ان واثلا يستسعيي ونوفلا على الأقباليث كانوا من حضرموت ٠٠٠ و كان قد افتتح حصن النجير بعد ردة أهلها فأقره عليها . (١٨)

ح- زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان الأنصاري البياضي هو ممن شهد العقبة و بدر- والى حضرموت من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ثم استعمله أبو بكر قتال أهل الردة من كندة (١٩)٠

ح- يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام الحنظلي و كنبه أبو خلف - والى خولان - و استعمله أبو بكر على حلوان في الردة ثم عمل لعمر على بعض اليمن ثم عمل لعثمان على صنعاء اليمن ، فخرج مع عائشه في وقعة الجمل ثم شهد صفين مع على رضي الله عنه و مات سنة سبع و أربعين . (٢٠)

د- جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نضر البجلي - والى
بجران - وقال عن اسلامه لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم
أتيته فقال ما جاء بك قلت جئت لاسلم فألقى الي كساؤه و
قال عمر عنه هو يوسف هذه الأمة و توفي رحمه الله سنة
أربع و خمسين (٢١)

ذ- عبد الله بن ثور - أحد بني الغوث - كان أمير في الردة ،
وان ابا بكر كتب اليه لما مات النبي صلى الله عليه وسلم أن
يجمع اليه من أطاعه من العرب و من استجاب له من أهل
همامة حتى يأتيه أمره . و توجه مع المهاجر بن أبي أمية الى
جرش أميرا عليها (٢٢)

ر- العلاء بن الحضرمي و اسمه عبد الله بن عماد بن أكبر بن
ربيعة بن مالك - والى البحرين - و استعمله النبي صلى الله
عليه وسلم على البحرين و أقره أبو بكر ثم عمر و كان يقال
عنه انه مستجاب الدعوة و توفي رضى الله عنه سنة أربع
عشرة و قيل احدى و عشرين (٢٣)

ز- عياض بن غنم ابن زهير بن أبي شداد الفهري - والى دومة
الجندل - هاجر الهجرة الثانية الى ارض الحبشة و شهد بدر و
أحد الجندل و المشاهد و هو الذى فتح بلاد الجزيرة و

صالحه أهلته و هو اول من أجاز الدرب و توفي رضى الله عنه

سنة عشرين ٠ (٢٤)

المراجع و المصادر

- (١) البخاري ، محمد بن إسماعيل ، الجامع الصحيح مع فتح الباري ط القاهرة ، المطبعة السلفية ج ٧ ص ٣
- (٢) أبو داؤد ، سليمان بن أشعث السجستاني ، سنن أبي داؤد ، ط مصر ، مصطفى الباي الحلبي ، كتاب السنة باب لزوم السنة ج ٢ ص ٥-٦
- (٣) الترمذي ، أبو عيسى ، محمد بن عيسى ، سنن الترمذي ، ط بيروت ، دار احياء التراث العربي ، كتاب المناقب ج ٥ ص ٦٠٩
- (٤) الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك ، بيروت ، دارالفكر ١٩٧٩ م ج ٤ ص ٥٠
- (٥) الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الامم و الملوك ج ٣ ص ٢٠٣
- (٦) ابن سعد ، محمد الطبقات الكبرى ، بيروت ، داربيروت للطباعة والنشر ١٩٧٨ م ج ٣ ص ١٨٧
- (٧) القرآن الكريم ، سورة العنكبوت رقم الآية ٦٤
- (٨) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣٥٠
- (٩) ابن القيم الجوزي ، اعلام الموقعين عن رب العالمين مصر ، مطبعة المدني ١٩٦٩ م ج ١ ص ٦٥
- (١٠) المرجع السابق ج ١ ص ٥٧
- (١١) أبو داؤد ، السنن ، كتاب الاجارة باب الصنائع ج ٢ ص ٢٤٠
- (١٢) البخاري ، كتاب الفرائض ، باب ميراث الجد مع الأب و الاخوة ج ١٢ ص ١٨
- (١٣) الترمذي ، السنن ، كتاب الفرائض ، باب ما جاء في ميراث الجدة ج ٤ ص ٤١٩

- (١٤) العسقلاني، احمد ابن حجر ، الاصابة في تميز الصحابه ، بيروت، دارالكتب العلمية الطبعة الأولى ١٩٩٥م ج ٤ ص ٣٥٦-٣٥٧
- (١٥) المرجع السابق ج ٤ ص ٣٧٥
- (١٦) المرجع السابق ج ٤ ص ١٨١-١٨٢
- (١٧) المرجع السابق ج ٦ ص ١٠٧-١٠٨
- (١٨) المرجع السابق ج ٦ ص ١٨٠
- (١٩) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٨٤
- (٢٠) المرجع السابق ج ٦ ص ٥٣٩
- (٢١) المرجع السابق ج ١ ص ٥٨٢
- (٢٢) المرجع السابق ج ٤ ص ٢٩
- (٢٣) المرجع السابق ج ٤ ص ٤٤٥
- (٢٤) المرجع السابق ج ٤ ص ٦٢٩ - ٦٣٠